سميرة موسى

الشهيدة الأولى فى جرائم اغتيال العقول العربية

- هل دفعت عالمة الذرة المصرية حياتها ثمنا لرفضها الجنسية الأمريكية؟
- أدرك والدها عبقريتها، فانتقل بها من سنبو إلى القاهرة.
- نيوبة موسى أضافت مختبر المدرسة إكراما لسميرة.
- هددت والدها: الجامعة أو القى نفسى من الشباك.
- اكتشفت القدرة الحرارية لبعض الغازات قبل استخدام الأمريكان القنابل الذرية.
- شبهات حول راقية إبراهيم بالمشاركة فى المؤامرة.

المؤامرة على العقل العربى، ليست داخلية فقط، وناجمة عن التخلف العام الذى تعيشه المجتمعات العربية التى تتردى فى مأزق وأزمات اقتصادية وسياسية وإدارية، وتنظيمية كفيلة بوأد أى موهبة أو مقدرة عقلية أو طردها فى حالة «الرأفة». فالمؤامرة، خارجية أيضاً لكنها مغايرة فى الهدف والوسيلة، فهى إما أن تجذب ذلك العقل المميز، لتستفيد منه، أو تتخلص منه حتى لا يستفيد منه غيرها، وهكذا كان الخلاص من أول عالمة ذرة مصرية وعربية.

خمرية اللون، فرعونية التقاطيع، عبقرية مصرية، خرجت من قاع الريف، ظهر نبوغها فى فترة مبكرة من حياتها، لم تكن فتاة عادية، شغفت بالعلم والتجارب، تركت أحلام الفتيات بالفارس راكب الحصان الأبيض، حلمت بالمعمل، طموحها العلمى لم يقف عند حد معين، سارت فى طريق العلم الذى لم تحده حدود، كانت أول عالمة ذرة عربية، أشادت بها المحافل العلمية الأجنبية، أطلق عليها الأنجليز ـ الذين باعوا فلسطين إلى اليهود ـ لقب «ميس كورى المصرية». قال عنها أستاذها الذى أشرف على رسالة الدكتوراه: «إن تجارب سميرة موسى سوف تغير وجه الإنسانية إذا وجدت المعونة الكافية».

وتستمر فى أبحاثها عن الأشعاعات الذرية، حيث كانت تحلم بأن تجعل العلاج بالراديوم كالعلاج بالأسبرين، وذاعت شهرتها ووصلت نتائج أبحاثها إلى أمريكا، وكان لابد من دعوتها لزيارة المفاعلات الذرية الأمريكية، وهناك وجدوا أنها تعرف كثيرا وأدركوا مكانتها العلمية، عرضوا عليها الجنسية الأمريكية، رفضت فمصر أولى بأبحاثها، فكانت النهاية، عادت عالمة الذرة، التى عرفت أكثر مما يريد الأمريكان لغيرهم ـ إلى مصر فى صندوق، كتبوا شهادة وفاتها فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢.

أغتالوا الحلم العربى، لتصبح سميرة موسى أول شهيدة فى سباق الصراع العلمى بين العرب واليهود، وأول حلقة فى مسلسل أغتيال العقل العربى.

نشرت جريدة «المصرى» القاهرية فى ١٩ أغسطس ١٩٥٢م الخبر التالى: «قال المتحدث باسم السفارة المصرية فى واشنطن أن الأنسة سميره موسى التى تتلقى العلم فى الولايات المتحدة، قتلت فى حادث سيارة، بعد أن أتمت دراستها فى جامعة أوكريدج فى ولاية تنيس الأمريكية، والمفهوم أنها كانت تقود سيارتها الخاصة عند وقوع الحادث».

الزفاف الأخير

وهبطت بعد أسبوعين.. طائرة أمريكية فى مطار القاهرة، أسرعت سيارة إسعاف لتقف إلى جوار باطن الطائرة، وفتح باب الحقائب، وفى صمت حمل بعض الرجال تابوتا إلى داخل السيارة الحزينة، التى أنطلقت به مسرعة تشق شوارع القاهرة، التى كانت لا تزال تعيش أجواء الأحتفال بثورة ضباط الجيش الذين أطاحوا بالملك فاروق، رغم علامات الفرح، كانت سحابات الحزن تلف بيت العائلة المصرية التى وقع عليها نبأ مصرع ابنتهم وقع الصاعقة، وفى نفس الحجرة التى شهدت أيام صباها وأحلام شبابها، وضعوا التابوت الذى كُفنت فيه الأحلام.

ووسط مشاعر الحزن ونوبات البكاء، أصرت الأم الثكلى أن ترى «حبة القلب» لم تصدق أنها ماتت، كسروا أقفال التابوت، وجدوا بداخلة صندوقا من الرصاص، فتحوه، ووقفوا فى ذهول وخشوع ينظرون إلى أبنتهم، خمرية اللون فرعونية التقاطيع.

كانت سميرة ترقد، وكأنها مازالت نائمة، أو فى إغفاءة سريعة أو فى سنة من النوم، جميلة كعادتها، ترتدى فستانها الشيفون، الأسود، تمسك فى يدها بمنديل حريرى، أظافرها زينت بالطلاء، رائحة العطر تفوح من جسدها، شعرها مصفف بطريقة جميلة، الساعة الذهبية تلمع فى يدها، وسوار آخر جميل يزين رقبتها، كانت كالعروس فى يوم زفافها.

ووسط الذهول والدموع وعلامات الأستفهام كان المشهد الأخير فى حياة سميرة موسى التى دُفنت فى مقبرة الأسرة بالبساتين فى الصندوق البلاتينى الذى جاءت بداخله من أمريكا. ومعها سر عملية إغتيالها التى لم يكشف الستار عن تفاصيلها حتى اليوم.

نبوغ مبكر

وقبل أن نقدم أدلة تورط أمريكا وإسرائيل فى إغتيال أول عالمة ذرة مصرية، نذهب إلى القرية التى وُلِدَت فيها «ميس كورى المصرية»، نرسم خطوط حياة هذه العالمة التى تطالبنا كل تفصيلة من تفصيلات حياتها بأن لا نثق فى اليهود أو الأمريكان، فهم وجهان لعملة واحدة، وهى كراهية العرب، ومحاربة تفوقهم العلمى.

كانت المحطة الأولى فى حياة سميرة موسى فى قرية «سنبو الكبرى» مركز زفتى، حيث رأت النور لأول مرة يوم ٣ مارس سنة ١٩١٧م، كانت البنت الرابعة فى ترتيب إخوتها التسعة ـ سبع بنات وولدان ـ هم هانم، فتينة، وديعة، سميرة، أحمد، عواطف، فكرية، ماهر، ومسرات.

كان جدها لوالدها أول من تعلم فى القرية وكان أفنديا يرتدى الطربوش، وكان يعمل فى مصلحة الأموال، أما والدها موسى على، فكان مزارعاً ميسور الحال، وبين دروب وحوارى قرية «سنبو الكبرى» وتحت ظلال أشجار الجميز التى تحيط بالترع نشأت سميرة وترعرعت.

ورغم أن والدها كان يتمنى أن تكون صبياً، إلا أن سميرة كان لها مكانة مميزة لدى والدها، فقد كان يرى فيها نباهة وذكاء لا يتوافران فى أى من بناته، ولذلك لم يكن يرفض لها طلباً وأرسلها إلى الكُتاب لتتعلم مبادئ القراءة والحساب، ثم التحقت بمدرسة سنبو الكبرى الأولية.

وأدهشت المدرسين بنبوغها المبكر، فقد كانت تتمتع بذاكرة حافظة ونظرة

ثاقبة، وميل إلى التجريب، مما جعل ناظر المدرسة ومدرسيها يهتمون بها وكانت فى البيت تجلس إلى جوار والدها تقرأ الجريدة التى كان يداوم الأب على قراءتها.

إنطلاقة جديدة

وكانت سميرة فى العاشرة من عمرها عندما مات زعيم الأمة سعد زغلول سنة ١٩٢٧، وراحت الصحف كلها تنعى الزعيم وتعدد مآثره. وقد تأثرت «سميرة موسى» بهذا الحدث وقرأت كل ما كُتب عنه فى الصحف، وفى صباح اليوم التالى فى المدرسة كانت تتحدث عن «سعد زغلول» وكأنها تقرأ من الجريدة، مما جعل ناظر المدرسة يذهب ـ عقب إنتهاء دروس هذا اليوم ـ إلى والد سميرة ويثنى عليها، «ويقول أنها عبقرية» وسيصبح لها شأن كبير» ونصحه أن يذهب بها إلى المدينة، حتى تحظى بالرعاية، وحيث آفاق العلم أكثر إتساعاً.

سمع الأب الواعى المحب للعلم هذه الكلمات وشعر بنشوة كبيرة، وبفخر وزهو قرر السفر بها وبأخواتها إلى القاهرة، لقد أدرك هذا المزارع البسيط بفطرته عبقرية ابنته، قبل أن تدركها هى.

وهذا هو دور الآباء فى رعاية واكتشاف مواهب الأبناء.

كان قرار الوالد يمثل نقلة كبيرة وإنطلاقة جديدة فى حياة ابنته، ترك زراعته، وباع أملاكه، واشترى لوكاندة فى حى «الحسين» وأخرى فى ميدان «العتبة» الذى كان من أهم ميادين القاهرة في ذلك الوقت. هى لوكاندة «وادى النيل» الكائنة فى العقار رقم (١) بميدان العتبة.

الأولى دائما

فى عام ١٩٢٨م غادرت سميرة «قريتها لأول مرة قادمة إلى القاهرة حيث التحقت بمدرسة «قصر الشوق الأبتدائية» لتواصل النبوغ والتفوق، بفضل تشجيع الوالد وحنان الأم، والجو العلمى الذى وجدت نفسها تعيش فيه، حصلت على

الأبتدائية، ثم ألتحقت بمدرسة «بنات الأشراف» التى كانت تديرها رائدة تعليم البنات فى مصر السيدة «نبوية موسى» وهناك تظهر ميولها العلمية بوضوح، فقد أحبت العلوم والتجارب، ولما وجدت المدرسة بدون معمل، ذهبت إلى والدها وطلبت منه أن تنتقل إلى مدرسة حكومية تتوفر فيها المعامل والأجهزة التى يمكن أن تجرى فيها تجاربها.

وعلمت السيدة «نبوية موسى» بهذا الأمر فقررت أن تزود المدرسة بمعمل من أجل الأحتفاظ بهذه الطالبة الموهوبة، التى تفوقت فى دراستها وأصبحت الأولى على مستوى القطر فى امتحان الثقافة العامة. ثم حصلت على المركز الأول أيضاً فى امتحان البكالوريا.

طموح «سميره موسى» كان كبيراً، لم تكن تحده حدود، لم تكتف بما وصلت إليه، قررت أن تلتحق بالجامعة، وبكلية العلوم بالذات، وعندما رفض الأب، هددت بالأنتحار، وقالت: إذا لم أدخل الجامعة، سوف أرمى نفسى من الشباك وطال الجدل والصراع، ولكنها أصرت ولم تتزحزح عن موقفها. والتحقت «سميرة» بالجامعه، ودخلت كلية العلوم، جامعة فؤاد الأول، سنة ١٩٣٥، جاءت إلى الكلية متأخرة بضعة أسابيع، ولكنها كانت الأكثر اهتماماً بالمحاضرات وتحصيل العلم، لم تكن تمل العمل، من المدرج إلى المعمل ومن المعمل إلى المدرج، كانت طالبة ممتازة، مولعة إلى أقصى درجة بالرياضة والطبيعة.

كانت تتعامل مع الزملاء باحترام وطيبة قلب، فقد تعودت على الإخلاص لكل إنسان وما أن تجلس إليها، حتى تحس كأنها تتجاوب مع كل ما يتردد فى نفس محدثها، وإذا أحست أنها من الممكن أن تصنع شيئاً فلن تنتظر طلبا، كانت هادئة، معتزة بنفسها، رزينة، تحب الخدمة العامة، طموحة إلى أبعد الحدود.

موسوعية المعرفة

ولم تكن سميرة أسيرة العلوم والرياضيات فقط، وإنما كانت تحب الثقافة، تقرأ كل شئ، تُطالع كل كتاب يقع تحت يدها، كانت مكتبتها غنية، ثرية بكل أنواع الكتب «مستقبل الثقافة فى مصر» لطه حسين، «رسالة الغفران» لأبى العلاء

المعرى و «عودة الروح» لتوفيق الحكيم، إضافة إلى روائع الأدب العالمى، وتفسير القرآن، وصحيح البخارى، وغيرها، كانت تقرأ كثيراً، وتفكر كثيراً، تمزج العلم بالفلسفة.

ولم يكن ذلك غريباً على «سميره موسى» وهى التى وجدت زميلاتها بمدرسة «بنات الأشراف» عاجزات عن استيعاب مادة الجبر، فقامت بتأليف كتاب بعنوان «الجبر الحديث» طبعه والدها على نفقته الخاصة، ووزعته بالمجان على زميلاتها، حتى يستوعبن مادة الجبر.

هكذا كانت «سميرة موسى» تتنقل بين العلوم والمعارف الأخرى، تقرأ كتب فى العلوم، عن مدام كورى، وعن نسبية أينشتين، وقرأت لتولوستوى، وطه حسين، وجان جاك روسو.

كانت مغرمة بالبحث العلمى الذى استدرجها إلى دراسة الطبيعة الذرية التى استولت على كل تفكيرها، حيث كانت تريد أن تكون الذرة فى متناول الجميع من أجل السلام ومصلحة الشعوب.

وقبل أن يمضى عام ١٩٣٩، كانت «سميرة موسى» قد حصلت على بكالوريوس العلوم فى الطبيعة بامتياز مع مرتبة الشرف.

معركة كلية العلوم

وكان من حقها أن تُعيَّن معيدة بالكلية، ولكن إدارة الجامعة رفضت، لأن العادة فى ذلك الوقت لم تكن قد جرت بتعيين معيدات، ولكن «سميرة» لم تسكت، وطالبت بحقها، كان عميد الكلية فى ذلك الوقت هو الدكتور العالم «على مشرفة» الذى ساند قضيتها، لإيمانه بنبوغها وتفوقها، وما يمكن أن تضيفه إلى رصيد مصر العلمى.

وقف الرجل بجانبها وأخذ يسعى ويقنع رؤساء، لم يكن من السهل إقناعهم بأن الوقت قد حان لتقف فتاة لتدرس فى الجامعة.

وبلغ من موقفه المساند لسميرة موسى أن هدد باستقالته من الجامعة إذا لم تعُين.

انتصرت سميرة، وصدر القرار بتعيينها كمعيدة بكلية العلوم، بجامعة فؤاد الأول، لتكون أول معيدة بالجامعة، ثم رشحتها الجامعة للسفر إلى إنجلترا للحصول على الماجستير ولكن اندلاع الحرب العالمية الثانية، حال دون إتمام السفر، ولم ينل ذلك من عزيمتها فواصلت الدراسة والبحث فى المعامل، لتحصل على الماجستير عام ١٩٤٢ فى «التوصيل الحرارى للغازات».

وكان موضوع الماجستير لافتا للنظر خاصة عندما أشارت إلى قدرة بعض الغازات على تأثير حرارى قاتل، وإن هناك غازات إذا ما تم تكثيف ذراتها بشدة، قد تنفجر وتحرق مدينة بكاملها.

وجاءت الأحداث لتثبت ما أشارت إليه «سميرة موسى» حيث قصفت أمريكا هيروشيما ونجازاكى بالقنبلة الذرية.

سميرة وأبحاث الذرة

والعلاقة وثيقة بين موضوع رسالة «سميرة موسى» وبين فكرة القنبلة الذرية، وإن كان البعض يرى عكس ذلك، وتتضح هذه الحقيقة من الشهادات والآراء التى قالها الأساتذة الإنجليز بعد الأبحاث التى أجرتها العالمة المصرية هناك، عندما سافرت فى بعثة دراسية إلى إنجلترا فى يناير سنة ١٩٤٧ للحصول على الدكتوراة فى موضوع «خصائص إمتصاص المواد لأشعة X»، ونظرا لاجتهادها وتفوقها العلمى أنهت سميرة الدكتوراة فى سبعة عشر شهراً بدلاً من ثلاث سنوات. فقد حصلت عليها فى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٨.

ولأن هدفها لم يكن فقط مجرد الحصول على درجة الدكتوراة، بقدر ما هو التوصل إلى نتائج علمية مهمة تفيد بلدها، فقد أصرت سميرة على البقاء إلى حين إنتهاء مدة المنحة الرسمية، ولم تضيع وقتها، لزمت المعامل، تُجرى التجارب فى معامل الجامعة التى شهدت من قبل تجارب «ميس كورى».

وقد وصلت فى تجاربها وأبحاثها إلى معادلة خطيرة تساعد فى تفتيت ذرات المعادن الرخيصة والمنتشرة فى كل بقاع الأرض، مثل النحاس، مما يتيح أمتلاك الدول الصغيرة للقنبلة الذرية.

ولم تكن عيون اليهود والأمريكان بعيدة عن هذه العالمة المصرية التى حققت هذا التقدم العلمى فى أبحاث الذرة، وبالفعل وصلتها دعوة لزيارة معامل الذرة الأمريكية، ولكن أحد أساتذتها، نصحها بعدم تلبية الدعوة والعودة إلى مصر، وربما كان يعرف هذا الأستاذ ما يرمى إليه الأمريكان من وراء هذه الدعوة، خاصة وأن انجلترا كانت مجال خصب لنشاط الجمعيات اليهودية الموالية لإسرائيل، ومن الطبيعى أن تكون أبحاث سميرة موسى قد لفتت انتباههم، ولما لا، وقد كتب أحد أساتذتها الإنجليز فى الصحف يقول عنها: «إن تجارب سميرة موسى قد تغير وجه الإنسانية، لو وجدت المعونة الكافية».

ومنذ هذه اللحظة أصبحت سميرة موسى تحت ميكروسكوب اليهود والمخابرات الأمريكية، خاصة بعد فضيحة عالم الذرة الأمريكى «روتنبرج» الذى نقل بعض الأسرار النووية إلى الاتحاد السوفيتى.

الذرة من أجل السلام

عادت الدكتورة سميرة موسى إلى مصر، تحلم بالتجارب والدراسة العلمية، ومواصلة الأبحاث، ولكن معامل كلية العلوم كانت بدائية، تحتاج إلى تجهيزات حديثة، كتبت إلى إدارة الجامعة، ولكن دون جدوى، وقادت حملة لتجمع التبرعات من أجل هذا الغرض، ولكنها لم تسفر عن شئ، طموحها جعلها لا تستسلم لليأس رغم أنهم أسندوا إليها تدريس مادة البصريات البعيدة عن تخصصها، وتطوعت للعمل فى قصر العينى لعلاج مرضى السرطان بالإشعاع، وكانت تطوف بين الأسِرّة كالملاك الأبيض، أرادت أن تجعل العلاج بالراديوم كالعلاج بالإسبرين.

وتبنت الدعوة إلى مهرجان علمى عالمى يُقام فى كلية العلوم تحت شعار «الذرة

من أجل السلام»، حضره عدد كبير من علماء العالم عام ١٩٥١، ونجح المؤتمر نجاحًا باهرًا، وخرج بتوصية لتكوين «لجنة الوقاية من القنبلة الذرية» كانت الدكتورة سميرة عضواً نشطًا فيها.

ولفت نشاط الدكتورة «سميرة» فى مجال الذرة، وأبحاثها الهادفة إلى التوصل إلى تصنيع هذا السلاح النووى من مواد ومعادن رخيصة، أنظار العالم إليها وإلى ما يمكن أن تصل إليه من خلال أبحاثها: ونتائج تطبيقاتها، التى يمكن أن تخل بالمعادلة الدولية فى الصراع النووى. فكان لابد من العمل على احتوائها، وضمها إلى صفوة علماء الذرة الأمريكيين، حتى تنفرد أمريكا بالسبق فى هذا الميدان.

بداية المؤامرة

وتم وضع الخطة بإحكام، كانت «سميرة موسى» طموحة، تريد أن ترى المعامل الأمريكية، وتستفيد من تجاربهم، حتى تحقق حلمها فى أن يكون فى مصر معمل ذرى، يمكنها من تنفيذ أبحاثها، وهم يعرفون ذلك جيدًا، فى أوائل عام ١٩٥٢، وبدون سابق موعد «تلقت د. سميرة» دعوة من «برنامج فولبرايت الذرى»، لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية، فى إطار برنامج التبادل الثقافى بين أساتذة الجامعات المصرية والأمريكية. حيث تقرر أن تتابع سميرة» أبحاثها فى جامعة سان لويس بولاية واشنطن، وخلال زياراتها للمعامل ومراكز الأبحاث الذرية الأمريكية، ومنها معهد أوكريدج للدراسات الذرية، ومن خلال أحاديثها مع الخبراء هناك، تبين لهم خطورة أفكارها وأبحاثها بشأن الاستخدام السلمى للأبحاث الذرية، وضرورة أن تقوم كل دول العالم بخوض هذا المجال. مما يمثل خطراً على مصالح أمريكا.

ومن خلال جولاتها ودراساتها فى أمريكا، بدأت العالمة المصرية فى إعداد التجهيزات وشراء المعدات اللازمة لإقامة أحدث معمل ذرى فى جامعة فؤاد الأول. وقد أشارت الصحف الأمريكية إلى ذلك، كما جاء فى صحيفة

«Theknoxville» الصادرة يوم الأحد ٣ مارس ١٩٥٢. والتى جاء فيها: «أن د. سميرة موسى» وهى أول مصرى يدرس فى أوكريدج - سوف تؤسس أول معمل من نوعه فى الشرق الأوسط، باستثناء إسرائيل ولبنان، وأنها إضافة إلى خبراتها وتجاربها ستعود إلى مصر بأحدث التجهيزات لتأسيس هذا المعمل الذرى».

محاولات الإحتواء

من أجل هذا كان لابد من احتواء «سميرة موسى» بكل طريقة ممكنة، وبمختلف الإغراءات، بدأت تصلها الدعوات لزيارة مراكز الأبحاث المتقدمة فى انجلترا وأمريكا، نظموا لها العديد من الزيارات، أملاً فى تشجيعها على الهجرة، عندما تقارن بين التفاوت المذهل فى الحياة والإمكانات المادية بين مجتمعها وهذه المجتمعات المتقدمة، ذات المعامل المتطورة ورواتب العلماء المرتفعة، مقارنة بين ظروف العلماء والامكانات ولكن كل ذلك لم يزدها إلا إصراراً على العودة إلى مصر بمعمل وأجهزة حديثة تواصل من خلالها أبحاثها الذرية، وعرضوا عليها الجنسية الأمريكية، لكنها اعتذرت فى اعتزاز فهى تحمل جنسية وطن غالى يسمى مصر.

التصفية

وعندما وجدوا أنه لاجدوى من محاولات الإحتواء، كان القرار بتصفية عالمة الذرة المصرية «سميرة موسى». وكان الموعد والمكان المحدد لتنفيذ المؤامرة طريق ولاية كاليفورنيا الوعر فى المسالك الجبلية، ففى يوم ١٥ أغسطس ١٩٥٢، وُجِهَت الدعوة إلى الدكتورة سميرة موسى لزيارة بعض المعامل فى كاليفورنيا، بصحبة سائق هندى الجنسية، وكان مقرراً أن تسافر بالطائرة، ولكنهم أخبروها أنه لا توجد أماكن، ولابد من السفر بالسيارة، ركبت السيارة وهى فى قمة الطموح والشوق لرؤية هذه المعامل الحديثة، واثناء سيرها على منحنى جبل، صدمتها سيارة كبيرة بعنف من الخلف، لتسقط إلى الهاوية، ولتسكت سميره موسى إلى الأبد، وتذهب معها ابحاثها وتجاربها الذرية إلى القبر، ويتخلص اليهود والأمريكان من هذا القلق الذى أحدثته تلك العالمة المصرية بأبحاثها.

والغريب فى الأمر أن الشرطة الأمريكية لم تجد سوى جثه سميره موسى، أما السائق الذى كان بصحبتها فلم يجدوا له أثر، وعندما بحثوا عن اسمه، وجدوا أنه كان مسجلا باسم مستعار.

مع سبق الإصرار والترصد

عادت العالمة المصرية إلى وطنها لا لتطبق أبحاثها، وتنشئ المعمل الذرى الذى حلمت به، ولكن لتستقر فى قبر أسرتها بالبساتين، جاءت إلى الوطن جثة محنطة فى تابوت معدنى.

ورغم أن المسئولين فى مصر لم يفكروا آنذاك فى إجراء أى تحقيق فى سبب وفاتها الغامضة فى أمريكا، ربما لانشغال البلاد وقتها بأحداث ثورة ٢٣ يوليو وربما لأن أساليب الموساد فى تصفية علماء العالم الثالث لم تكن قد عُرفت بعد، فإن الشواهد والأدلة تؤكد أن سميرة موسى قُتلت عمداً مع سبق الإصرار والترصد. وطبقًا لمخطط وسيناريو تم كتابته وتنفيذه بدقة وإحكام.

وهذا ما يؤكده أقارب عالمة الذرة المصرية، سواء فى قريتها «سنبو الكبرى» حيث زرنا القرية ورأينا مكان بيتها القديم والكُتاب والمدرسة التى تعلمت بها، أو فى القاهرة حيث تقيم شقيقتها فكرية موسى، تقول شقيقتها فكرية: «إن ما يؤكد أن الدكتورة سميرة أُغتيلت هو أننا عندما تسلمنا جثتها من المطار، وجدناها فى تابوت من البلاتين، بداخلة تابوت زجاجى، وُضِعَتْ فيه بكامل أناقتها وزينتها، وكان شعرها مصففًا بعناية، ولا يوجد بجسدها أى آثار لأى حادث، ولا حتى خدش بسيط».

ويميل معظم من كتب عن سميرة موسى إلى فكرة الاغتيال؛ يؤكد الكاتب الصحفى عادل حمودة ذلك بقولة: «أنهم طلبوا منها فى الولايات المتحدة والحوا عليها أن تبقى، وأن يمنحوها الجنسية الأمريكية، ولكنها رفضت، وأصرت على العودة إلى أرض الوطن، وصدر قرار سرى بألا تعود، وإذا أصرت على العودة، فلتعد جثة هامدة فى تابوت. وكانت «سميرة موسى» أولى الضحايا فى مسلسل

دموى شرس، راح ضحيته ١٤٦ عالم ذرة فى دول العالم الثالث، فى الفترة من عام ١٩٥٩ وحتى ١٩٩٨م».

وهذا ما يؤكده أيضا الكاتب الصحفى جميل عارف استناداً إلى ما قاله المرحوم الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية المصرى فيما بعد، والذى كان وقت وفاتها مستشاراً ثقافيا لمصر فى واشنطن، حيث قال أن هناك قوة خفية وراء عملية إغتيال سميرة موسى.

ويتهم الكاتب عبد الله بلال فى كتابة «اغتيال العقل العربى» الممثلة اليهودية راقية إبراهيم انها لها علاقة بمصرع سميره موسى، حيث كانت راقية من عملاء الموساد، وكانت فى لندن فى نفس الفترة التى كانت «سميرة» تدرس فيها هناك، وانها نقلت ملخص أبحاثها إلى اليهود، كما أنها كانت فى امريكا كعضو فى الوفد الإعلامى الإسرائيلى بالأمم المتحدة فى نفس توقيت مصرع سميرة موسى. ويرى بلال أن الموساد اغتال سميره موسى كما اغتال د. يحيى المشد، ود جمال حمدان، ود. سعيد سيد بدر، ود. نبيل البلقينى، ود. سلوى حبيب.

وإن كانت جريمة قتل الدكتورة «سميرة موسى» قد قُيدت سنة ١٩٥٢ ضد مجهول، فمن حقها علينا أن نطالب بفتح ملف اغتيالها وبمحاسبة قاتليها مهما يكونوا، سواء أكانوا من الموساد الإسرائيلى، أم من الأمريكان، ولابد أن تتحرك الدبلوماسية المصرية بكل ما تملك لفتح هذا الملف الذى أُغلق منذ عام ١٩٥٢، حتى لا تمضى اسرائيل فى تنفيذ مخططاتها فى أغتيال علمائنا دون أى عقاب.

أساتذة «سميرة موسى»

على قدر ما يتوفر للفرد من مناخ وجو يشجع على العلم ويدفع إليه، بقدر ما يكون تفوقه ونبوغه، وفى حياة «سميرة موسى» بعض أصحاب الفضل، الذين أناروا لها طريق العلم، وهيأوا لها سبيل التفوق، لتظهر عبقريتها ونبوغها.

* يأتى فى مقدمتهم، والدها الحاج موسى على، ذلك المزارع المحب للقراءة، صاحب الاتصالات بالسياسيين من أمثال اسماعيل صدقى، كان والد سميرة

موسى، وطنيًا بكل معنى الكلمة، واعيًا بكل ما يدور حوله من أحداث بلده، عندما نصحه ناظر مدرسة «سنبو الكبرى» بالاهتمام بابنته الموهوبة، سارع بالانتقال إلى القاهرة ليوفر لها أجواء العلم، والحقها بمدرسة «قصر الشوق الابتدائية» ثم بمدرسة «بنات الأشراف» وعندما ألّفت وهى بالسنة الأولى الثانوية كتاب «الجبر الحديث» طبع منه ٣٠٠ نسخة على نفقته، ويدل ذلك على مدى إيمانه بعبقريه ابنته ووقوفه إلى جانبها بكل ما يملك، ثم وقف بجوارها وأعطاها الثقة بنفسها عندما التحقت بكلية العلوم، وعند سفرها إلى انجلترا وأمريكا، فقد كان صاحب نظرة تقدمية، لا تتوفر فى بعض رجال القرن الواحد والعشرين الذين يمنعون بناتهم من السفر للدراسة.

بل اشترى لها قطعة أرض بالهرم لتقيم عليها معملاً خاصًا بها بعد عودتها من أمريكا. ولكنها لم تعد إلا جثه فى تابوت.

* ومن اساتذتها أيضا «نبوية موسى» رائدة تعليم البنات فى مصر والكاتبة الصحفية المناضلة، التى ربت التلميذات والمدرسات على الخلق القويم، وخاضت الكثير من المعارك حتى تتبوأ المصريات مكانهن اللائق، وقد أقامت معملاً بمدرستها حتى لا تتركها التلميذة الموهوبة سميرة موسى. وظلت تشجعها حتى التحقت بكلية العلوم.

* ومن الذين لعبوا دورًا كبيرًا فى مسيرتها العلمية العالم المصرى الكبير الدكتور على مصطفى مشرفة، الذى حصل على دكتوراة العلوم من جامعة لندن عام ١٩٢٤. فكان أول عالم عربى يحصل على هذه الدرجة العلمية، وعمره لا يتجاوز ٢٦ سنة، وكان أول عميد مصرى بكلية العلوم جامعة فؤد الأول، وظل فى هذا المنصب ١٤ عامًا وقد قال عنه البرت أينشتين: «لقد كان مشرفة رائعًا، وكنت أتابع أبحاثه فى الذرة بكل ثقة، لأنه كان من أعظم علماء الفيزياء.

وقد وجدت سميرة موسى كل الرعاية والتشجيع العلمى من أستاذها الذى كان له الفضل فى تعيينها معيدة بكلية العلوم، وهدد باستقالته إذا لم تُعين.

كلية العلوم تجهل سميرة موسى

رغم كل ما قدمته الدكتورة «سميرة مُوسى» من جهد، وبحث علمى، فإنها لم تلق التقدير الذى تستحقه عالمة كبيرة رائدة مثلها، وإن كانت مصر قد كرمتها عندما منح الرئيس المصرى الراحل أنور السادات اسمها وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى تقديراً لخدماتها الجليلة، وكأول مصرية تحصل على درجة الدكتوراة فى الطبيعة الإشعاعية، وذلك عام ١٩٨١م. إلا أن كلية العلوم التى كانت سميرة موسى عضو هيئة التدريس بها، فهى لم تتذكرها فى أية مناسبة، ولم تقم بتكريمها حتى الآن، ولو بإطلاق اسمها على أحد المدرجات بالكلية، أو حتى بتخصيص جائزة علمية بإسمها.

زملاء سميرة موسى

تخرجت سميرة موسى فى كلية العلوم عام ١٩٣٩م، وتخرج معها فى نفس العام كل من: إبراهيم أدهم كامل، إبراهيم الدسوقى، إبراهيم لبيب إبراهيم، أحمد عبد الغفور طه، أحمد مصطفى أحمد، أنسى جرجس فهمى، أنيس صليب سمعان، بهيج قلادة باسيليوس، جرتوود لبيب نسيم، جمال الدين فتحى عابدين، حسن حسن المملوك، حسنى محمد يوسف، رمسيس سليمان ميخائيل، روزين داود عبد السيد، رياض عبد المجيد حجازى، صلاح الدين سعيد الوقاد، عبد العزيز على موسى، عبد الله محمد عبد الله الكاتب، عبد المنعم أحمد كامل، فؤاد جورجى زكى، كمال الدين على الشريف، محمد أحمد أبوريا، محمد جمال الدين نوح، مفيد دوس كيرلس، منير جندى، ميلاد يسى جرجس، نعمت محمد على، نوال الإنتصار صالح زكى، وفيه محمد عسكر.

ملكة جمال

لم تكن «سميرة موسى» مجرد عالمة، أو راهبة فى محراب العلم، وانما كانت أديبة، صاحبة مواهب متعددة، كانت تعزف على العود، وتكتب النوت الموسيقية، قارئة لكل أنواع المعارف، تهتم بأناقتها، ترتدى أحدث الموديلات

العالمية، تهوى الحياكة والتطريز، وكانت حريصة على تدوين مذكراتها يومًا بيوم.

من مذكراتها كتبت تقول: «تمنيت أن أكون ملكة جمال يزين هالتى تاج من نور، وأحكم على عرش القلوب.. تمنيت أن أكون أميرة جميلة، زهرة عطرة، وتمنيت أن أكون أديبة مشهورة».

وإن كان اساتذتها قد دخلوا عقلها بتوجيهاتهم وتشجيعهم، فإن قلبها كان موصدًا دون الرجال، وممنوعًا عليهم، كانت تقول: «أنا تزوجت العلم، ولا يوجد رجل ينافس العلم عندى».

نعم، كان فى أعماق هذه العالمة العبقرية أشياء أخرى غير نظريات الذرة والمعادلات العلمية المعقدة، كانت فى أعماقها إمرأة نادرة من نوع خاص.

قائمة المراجع

أولا: المؤلفات العربية والمترجمة:

١- أحمد حسين الطماوى: «ليلة باسمة فى حياة مَىّ» دار الفرجانى، القاهرة بدون تاريخ.

٢- أحمد رجائى: «١٠٠٠ شخصية نسائية»، دار التحرير ـ القاهرة ـ ٢٠٠٠م.

٣- د. إسماعيل إبراهيم: «صحفيات ثائرات»، الدار المصرية اللبنانية. القاهرة، الطبعة الأولى ـ ١٩٩٧م.

٤- أشرف توفيق: «حريم فى حياة الزعيم سعد زغلول»، مركز الراية للنشر والإعلام ـ القاهرة ـ ٢٠٠٠م.

٥- أنور الجندى: «من أعلام الحرية»، سلسلة إقرأ، دار المعارف المصرية، القاهرة ١٩٦٤م.

٦- جورجى زيدان: «بناة النهضة العربية»، دار الهلال ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

٧- خالد محمد غازى: «جنون امرأة ـ مَىّ زيادة»، دار النهار، القاهرة ـ ١٩٩٤م.

٨- رجاء النقاش: «أبو القاسم الشابى ـ شاعر الحب والثورة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م.

٩- زكى فهمى: «صفوة العصر فى تاريخ رسوم مشاهير رجال مصر»، مكتبة مدبولى، القاهرة ـ ١٩٩٥م.

١٠- د. سمير محمد طه: «أحمد عرابى ودوره فى الحياة السياسية المصرية» الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ ١٩٨٦م.

١١- د. شوقى ضيف: «مع العقاد»، سلسلة إقرأ، دار المعارف المصرية، القاهرة ١٩٦٤م.

١٢- صبرى أبو المجد: «فكرى أباظة»، دار التعاون، القاهرة ـ ١٩٨٧م.

١٣- صلاح الإمام: «حدث فى مثل هذا اليوم»، مكتبة مدبولى الصغير، القاهرة ـ ١٩٩٢م.

١٤- صلاح عبد الصبور: «قصة الضمير المصرى الحديث»، كتاب الإذاعة والتليفزيون، القاهرة ـ ١٩٧٢م.

١٥- عباس محمود العقاد: «سعد زغلول زعيم الثورة»، نهضة مصر، القاهرة ـ ١٩٩٤م.

١٦- عباس محمود العقاد: «رجال عرفتهم»، نهضة مصر، القاهرة ـ ١٩٩٢م.

١٧- عبد الرحمن الرافعى: «تاريخ مصر القومى ـ ١٩١٤: ١٩٢١»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ ١٩٩٩م.

١٨- عبد العزيز صادق: «زيارة إلى الماضى»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ ١٩٩٣م.

١٩- على طنطاوى: «رجال من التاريخ»، دار الفكر، دمشق ـ سورية ـ ١٩٨٥.

٢٠- فاطمة اليوسف: «ذكريات»، مؤسسة روز اليوسف، القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٦م.

٢١- فتحى رضوان: «عصور ورجال»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ـ بدون تاريخ.

٢٢- فتحى رضوان: «طلعت حرب، بحث فى العظمة»، دار الكتاب العربى، القاهرة ـ ١٩٧٠م.

٢٣- لمعى المطيعى: «هؤلاء الرجال من مصر» الجزء الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ ١٩٩٣.

٢٤- د. مارجو بدران، ترجمة د. على بدران، «رائدات الحركة النسوية المصرية والإسلام والوطن»، المطابع لإميرية ـ القاهرة ٢٠٠١.

٢٥- د. محمد الجوادى: «الوزراء ورؤسائهم ونواب رؤسائهم ونوابهم ـ تشكيلاتهم وترتيبهم ومسئولياتهم ١٩٥٢-١٩٩٧»، دار الشروق، القاهرة ـ ١٩٩٩م.

٢٦- محمد السيد شوشة: «أغانى بيرم التونسى»، دار أخبار اليوم، القاهرة ـ ١٩٨٨م.

٢٧- د. محمد حسين هيكل: «تراجم مصرية وعربية»، دار المعارف، القاهرة ـ ١٩٨٠م.

٢٨- محمد رفعت المحامى: «أعلام فى تاريخ وادى النيل»، دار الكتاب العربى، القاهرة ـ ١٩٦٧م.

٢٩- محمد سيد كيلانى: «طه حسين، الشاعر الكاتب»، دار الفرجانى، القاهرة ـ بدون تاريخ.

٣٠- محمد صبيح: «بطل لاننساه، عزيز المصرى وعصره» المكتب المصرى الحديث، القاهرة ـ بدون تاريخ.

٣١- محمد عبد الحميد: «أبو الثائرين، الفريق عزيز المصرى»، دار أخبار اليوم، القاهرة ـ ١٩٩٢م.

٣٢- د. محمد عمارة: «قاسم أمين، تحرير المرأة والتمدن الإسلامى»، دار الوحدة ـ ١٩٨٥م.

٣٣- د. محمد مصطفى سلام وإبراهيم الجمل: «أجمل ما شدت به أم كلثوم»، نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٢م.

٣٤- محمد لطفى جمعة: «قطرة من مداد الأعلام المتعاصرين والأنداد»، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٥- منيره ثابت: «ثورة فى البرج العاجى»، دار المعارف، القاهرة ـ ١٩٤٦م.

٣٦- د. ناصر الدين سعيدونى: «عصر الأمير عبد القادر الجزائرى»، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى، الكويت، ٢٠٠٠م.

٣٧- د. نعمات أحمد فؤاد، «أحمد رامى، قصة شاعر وأغنية»، دار المعارف، القاهرة ـ ١٩٨٣م.

٣٨- وكالة أنباء الشرق الأوسط: «موسوعة أعلام مصر فى القرن العشرين»، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٦م.

ثانيا: كتب أجنبية:

39- Cynthia Nelson: Doria Shahik, Eggptian Feminist, the American University in cairo Press, 1996.

ثالثا دوريات:

٤٠- مجلة الهلال عدد أكتوبر ١٩٥٧ «ذكرى ٢٥ عامًا لأمير الشعراء».

٤١- مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٦٦ «عدد خاص طه حسين».